

## دلالة قوله تَعَلَّقُوا بِآبِ فِي السَّاجِدِينَ { على أفضلية سيد المرسلين

د. خليل عبد الحميد العبادي

محاضر متفرغ

جامعة العلوم الإسلامية العالمية . عمان . الأردن

**ملخص:** تتناول الدراسة أقوال العلماء في دلالة قولهم تَعَلَّقُوا بِآبِ فِي السَّاجِدِينَ { [الشعراء :

219] على أفضلية سيد المرسلين ، والرد على شبهة<sup>(1)</sup> عدم أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. لموت والديه قبل بعثته.

تشتمل الدراسة على تمهيد تُعرض فيه الشبهة المتعلقة بالمسألة ، وتحريز محل النزاع ، ويأتي المبحث الأول الذي سيتناول مطلبين :

**أولهما:** تفسير نص الآية الكريمة تفسيراً يفي بالغرض .

**الثاني:** التساؤل عن تأثير نجاة والدي الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على أفضليته صلى الله عليه وسلم. وأختم بمطلب أذكر فيه بعض النصوص القرآنية التي تقرر أفضلية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. مفاد البحث ، وترسخ تفوقه على العالمين ، وهذا يؤدي إلى النتيجة الحاسمة التي تقرر أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على العالمين بدلالة آيات القرآن الكريم .

**Abstract:** The study addresses the scholarly interpretations of the meaning: {And your movements among those who fall prostrate (in worship)} [Ash-Shu'arâ: 219] on the preference of the Prophet Muhammad, and respond to suspicious that there is no preference for Prophet Muhammad, peace be upon him for the death of his parents before his mission.

The study includes an introduction on the issue, and expurgation dispute. The first section deals with two requirements: First, the interpretation of the verse text. Second, the question about the impact of the Holy Prophet parent escapes on his superiority.

The second section: introduces Quran texts that settle on the preference of Muhammad bin Abdullah, peace be upon him, and establish his superiority over other worlds, and this leads to the crucial result that decided preference of Prophet Muhammad, peace be upon him on the worlds in terms of Quran verses

### مقدمة

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، توحد في ذاته وأفعاله ونعته ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه من بين أنبيائه وخلقته ورسله ، أما بعد

## د. خليل العبادي

فقد كثر الحديث في عصرنا عن الحبيب المصطفى محمد . عليه أركى الصلاة والسلام . وبدأ المشككون الحاقدون يثيرون حوله الشبهات ، ويقدمونه للناس عبر رسومات ، أو من خلال أفلام ساقطات، يظنون أنهم وصلوا إلى مآربهم الشيطانية من خلال نشرها في الفضائيات وأنهم استطاعوا أن يشوهوا صورة يز البريات ، ومن هذه الشبهات التي يقومون ببثها الطعن في والدي النبي . عليه الصلاة والسلام . فتارة يسمونه في أفلامهم محمد ابن أبيه ، وتارة أخرى يقولون كيف تقولون يا مسلمين أن نبيكم هو أفضل من عيسى - على نبينا وعليه السلام- ؟ مع أن كتابكم القرآن ذكر أن أم عيسى . على نبينا وعليه السلام . كانت صديقة وأن جده قد اختاره الله على العالمين ، أما نبيكم محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ فمات والداه قبل أن يؤمنا به ؟ وبعبارة أخرى كيف تقولون بأفضلية ابن غير المؤمنة على ابن المؤمنة الصديقة ؟ وهذا بشهادة كتابكم القرآن الكريم.

ومعلوم أن القصد من وراء هذه الحملات هو الإساءة إلى الفكرة الإسلامية ، والنيل من النظام الإسلامي ، والنيل من شموخه وعظمته ، وتقديمه وتفوقه على سائر العقائد والشرائع في هذه الحياة الدنيا .

### موضوع الدراسة وأهميتها:

تتناول الدراسة إثبات أفضلية سيدنا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_ . على العالمين ، مع أن والديه قد ماتا قبل أن يشهدا بعثته ورسالته ؛ إق هذا الأمر لا يـ نقص من قدره \_عليه الصلاة والسلام\_ . ، بل جاءت آيات القرآن الكريم البينة التي تثبت أفضلية سيدنا محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ . ، ولن تجد آية واحدة تفيد التقليل من شأنه أو تشهد بعدم أفضليته \_عليه الصلاة والسلام\_ بل تجد آية<sup>(2)</sup> يرد فيها على الشبهة التي ذكرتها ، ذلك من خلال ذكر بعض المفسرين رأياً مفاده نجاه والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ .

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقرير أمرين رئيسيين:

1. وفاؤالديّ سيدنا محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ قبل الإيمان به لا ينتقص من أفضليته . \_عليه الصلاة والسلام\_ .

2. بيان لبعض آيات القرآن الكريم الدالة على أفضلية سيدنا محمد- عليه أركى الصلاة وأتم التسليم- .

## دلالة قوله تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّاجِدِينَ { عَلَى أَفْضَلِيَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

### محددات الدراسة:

الغرض الرئيسي لهذه الدراسة : بيان دلالة قوله وتَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّاجِدِينَ { [ الشعراء : 219] على أفضلية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين ولن يبسط الباحث مختلف الآراء في تفسير الآية ، بل سيقصر على ذكر أقوال العلماء في دلالة هذه الآية على أفضليته - صلى الله عليه وسلم - ، التزاماً بالمسموح به من عدد الصفحات ، وسهولة الوصول إليها في مظانها .

### الدراسات السابقة :

لم يجد الباحث أية دراسة تناولت إثبات أفضلية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - . خاتم الأنبياء والمرسلين من خلال دلالة قوله تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّاجِدِينَ { [ الشعراء : 219]. وأقرب دراسة إلى هذه الدراسة: ما كتبه علماؤنا في أفضلية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - . من خلال آيات القرآن الكريم ، ككتاب الإمام الغماري الموسوم بـ دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين ، الذي ذكر في بدايته<sup>(3)</sup> [ 1 . 1 ] :

هذا كتاب دلالة القرآن	أوضحت فيه حقائق التبيين
وجعلته وضعا رصينا شديدا	صفحاته بنواصع البرهان
ينبيك عن قدر النبي وفضله	بسواطع جاءت من الفرقان

هذه الأبيات التي بدأ بها الإمام كتابه ، تحمل في ثناياها الهدف من كتابة هذا البحث ؛ ألا وهو بيان أفضلية نبينا الكريم على العالمين ، بدلالة آيات القرآن الكريم .  
لكن الإمام الغماري لم يتطرق في كتابه لدلالة قوله وتَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّاجِدِينَ { [ الشعراء : 219] على أفضلية سيد المرسلين .

كما يُعْنَى كَتَبَ فِي حَكْمِ أَهْلِ الْفِتْرَةِ وَعَدَّ وَالِدِيَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ قَدْ تَعَرَّضَ إِلَى جِزءٍ مِنْ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَانَتْ تَتَّارُ فِي بَحُورِ كِتَابِهِمْ دُونَ تَخْصِيصِهَا بِكِتَابٍ وَاحِدٍ<sup>(4)</sup> . [ 2 . 2 / 361 . 404 ]

### منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي : لعرض الدعوى ، ولتحرير محل النزاع . ثم منهج القياس المنطقي : من خلال ذكر مقدمات واستنباط النتيجة منها . وهذا المنهج يظهر جلياً عند ذكر كلام الإمام السيوطي أثناء البحث. وفي أثناء الدراسة سيتم استخدام المنهج الاستنباطي : لاستنباط أفضلية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من الآيات القرآنية الدالة على ذلك .



## دلالة قوله تَعَالَى: { فِي السَّاجِدِينَ } عَلَى أَفْضَلِيَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

الدراسة سوف ترد عليه ، ليس هذا فحسب ، بل بياناً لمن يقع في حيرة من أمره ، عندما تثار أمامه مثل هذه الشبهات .

لا يكون حاله كحال ذلك الرجل (7) الذي لم يستطع الإجابة عن سؤال أحدهم حين قال له : أليس نوح \_عليه الصلاة والسلام\_ ، هو أفضل من محمد \_عليه الصلاة والسلام\_ ؟ حيث إن نوح \_عليه الصلاة والسلام\_ مكث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، أما محمد \_عليه الصلاة والسلام\_ فلم تتجاوز دعوته ثلاثة وعشرين عاماً فوق الرجل أمام هذا السؤال حيران دون إجابة .

حتى لا يقع أحدنا في مثل هذا الموقف ، جاءت هذه الدراسة .

ذلك أن المسلم الذي تمكنت في قلبه محبة النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ ؛ يجب أن تظهر هذه المحبة عند سماعه لمثل هذه الشبهات، هذه المحبة تنتقل إلى كلمات تدافع عن خير البريات \_عليه الصلاة والسلام\_

له الشرفان من عم وخال      ففاق المرسلين بكل عصر  
بدا من خير بيت في قریش      وأرضع في بني سعد بن بكر  
فضم إلى فصاحة آل سعد      سماحة هاشم وجمال فهر (8)

مهما كان المديح موقفاً ومُحقاً للغرض كما في الآيات السابقة ؛ فلن يفِي الرسول الكريم . \_عليه الصلاة والسلام\_ . حقه ؟ ثم إن الله اصطفاه بالنبوة والرسالة ، فهل هناك من مدح يتفوق على الاصطفاء بالرسالة والنبوة؟ فقد خصه الله \_تعالى\_ بأنه وحي يوحى إليه .

إن كان مرد النزاع إلى آيات القرآن الكريم . الذي لا يُقر به أعداء الإسلام ولا يؤمنون به ولا يعترفون بأنه كتاب منزل من عند الله ، بل يتهمون سيدنا محمداً . \_عليه الصلاة والسلام\_ . بوضعه، ولكنهم مع ذلك يواصلون البحث في آياته لعلمهم يجدون فيها ما يطعنون بالإسلام وشرائعه ورسوله ، وأنى لهم ذلك . ؛ فلقد وردت العديد من الآيات الدالة على أفضلية سيدنا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_ . على العالمين .

### المبحث الأول: دلالة الآية

تدور الدراسة حول دلالة قوله و تَعَالَى: { فِي السَّاجِدِينَ } {سورة الشعراء : 219 ] على أفضلية سيدنا محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ ، وسيتم بيان هذه الدلالة في المطالب الآتية :

### المطلب الأول: تفسير الآية الكريمة :

قال \_تعالى\_ في سورة الشعراء: { فِي السَّاجِدِينَ } {سورة الشعراء : 219 ] .

## د. خليل العبادي

للعلماء في تفسير هذه الآية أقوالاً عدة ، وردت في كتب التفسير ، منهم من اقتصر على أربعة أقوال كالإمام الطبري في تفسيره ، ومنهم من زاد على هذه الآراء حتى أوصلها إلى سبعة أقوال ، كما أورد ذلك الإمام الماوردي في تفسيره الموسوم بـ النكت والعيون ، حيث يقول عند تفسيره للآية :  
" فيه ستة تأويلات :

أحدها : من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً ، قاله ابن عباس .

الثاني : يرى تقلبك في صلاتك وركوعك وسجودك ، حكاه ابن جرير .

الثالث : أنك ترى تقلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بعينك من قدامك ، قاله مجاهد .

الرابع : معناه وتصرفك في الناس ، قاله الحسن لتقلبه في أحواله وفي أفعاله .

الخامس : تقلب ذكرك وصفتك على السنة الأنبياء من قبلك .

السادس : أن المغنبي قولوا [ الك حـ ين د قـ وم ] إذا صليت منقرداً في الساجدين [ إذا صليت في الجماعة ، قاله قتادة .

ويحتمل سابعاً : الذي يراك حين تقوم لجهاد المشركين . " (9) [ 4 . 4 / 189 ]

ويعد التأمل في هذه التأويلات السبعة تجد أن التأويل الذي يفيد هذه الدراسة هو قريب من التأويل الأول ، وهو ما بينه الإمام الرازي ( ت 606 هـ ) في تفسيره ، حيث ذكر ما نصه :  
" أ ي : إنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد ، وبهذا التقدير : فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين .

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله . \_ عليه الصلاة والسلام . : ( لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ) (10)  
وقالهم تَعَالَى: شُرْكَؤنَ نَجَسٌ " { [ سورة التوبة : 28 ] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً . " (11) [ 33 / 13 . 5 ]

بعد ذكره لكلام الإمام الرازي ، يقول الإمام السيوطي ( ت 911 هـ ) : " هذا كلام الإمام فخر الدين بحروفه وناهيك به إمامة وجلالة ، وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها . " (12) [ 361/ 22 ]

ثم يذكر الإمام السيوطي ما ينصر هذا الرأي ، فيقول: " وعندي في نصرته هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور ، أحدها دليل استنبطته مركب من مقدمتين :  
الأولى: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى الله عليه وسلم من آدم إلى أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرنه وأفضلهم .

## دلالة قوله تَقَالِيْدِي فِي السَّاجِدِيْنَ { على أفضلية سيد المرسلين

والثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحّدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض ، ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها .

وإِذَا قَارَنْتَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَقْدَمَتَيْنِ أَنْتَجَ مِنْهَا قِطْعاً أَنَّ آبَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مُشْرِكٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ فِي كُلِّ مِنْهُمُ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِ ، فَإِنْ كَانَ النَّاسُ الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ هُمْ إِيَّاهُمْ فَهُوَ الْمَدْعَى وَإِنْ كَانُوا غَيْرَهُمْ وَهَمَّ عَلَى الشِّرْكِ ، لَزِمَ أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُشْرِكُ خَيْرًا مِنَ الْمُسْلِمِ ؛ وَهُوَ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ؛ وَهُوَ بَاطِلٌ لِمُخَالَفَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، فَجَبَّ قِطْعاً أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِمْ مُشْرِكٌ لِيَكُونُوا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّ فِي قَرْنِهِ "(13).

[2. 367/2] بعد ذلك أورد الإمام السيوطي الأدلة على صحة هاتين المقدمتين.

عند التمهيد في كلام الإمام السيوطي ، تجده جمع بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية على إثبات دعوته ، وهذا ما جعلني أنقل كلامه بطوله في المسألة ؛ ذلك أن الكلام موجه في الرد على الشبهة في هذا البحث على أناس لا يؤمنون بآيات القرآن الكريم فضلاً عن أحاديث الرسول الأمين . صلى الله عليه وسلم . ، كما أن كلامه يفيد بما ذهب إليه علماءنا قبله . كما نقل ذلك عن الإمام الرازي ، وعلمونا الذين نقلوا عنه من الذين جاءوا بعده كالإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه الموسوم بسبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد . فوجود علماء كالإمام السيوطي ؛ يستخدم العقل مع النقل في إثبات العقائد الدينية يجعل المستشرقين يققون حائرين أمام العديد من المسائل ، كما يتوقفون عن ذكرها في كتبهم ؛ لما يعرفونه من ضعف حججهم فيها وقصور أدلتهم عليها .

لذلك لم تجد أحداً من المستشرقين<sup>(14)</sup> تعرض في كتبه لمثل هذه الشبهة في الطعن في سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن حقدهم لم يردعهم عن ذكرها عبر الفضائيات .

قيل بيان آراء العلماء في نجاته والدي النبي عليه الصلاة والسلام أو عدمها لا بد من التنبيه على أمر هو أن الرأي الذي ذكرته في تفسير الآية ، الذي يؤيد القول بنجاة والدي النبي عليه الصلاة والسلام ، هو رأي الشيعة . كما صرح بذلك الإمام الرازي .

لكن ما يضير ذلك الرأي إن قال به الشيعة ؛ بما أن هنالك العديد من أهل السنة من أخذ به ، واستدل عليه ، رحم الله الإمام نظام الدين النيسابوري (ت بعد 728هـ) الذي أورد ذلك عند تفسيره لهذه الآية ، فقال :

" وقد احتج بالآية علماء الشيعة على مذهبهم أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكونون

## د. خليل العبادي

كفاراً . قالوا : أراد تقلب روحه من ساجد إلى ساجد كما في الحديث المعتمد عليه عندهم ( لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ) وناقشهم أهل السنة في التأويل المذكور وفي صحة الحديث . والأصوب عندي أن لا نشغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح إلى بقعة الإمكان على أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول .<sup>(15)</sup> [ 288 / 5 . 6 ]

وقبل أن أطوي الصفحة في هذا الموضوع ، لا بد من التعرض إلى مسألة اختلف فيها علماءنا منذ زمن بعيد ؛ ألا وهي : هل والد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - كان كافراً ؟ وبما أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - هو أبو الأنبياء ، وهو من آباء سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ؛ فهذا يعني أن من أجداد النبي - عليه الصلاة والسلام - من كان مشركاً أو كافراً ، وهذا مخالف للرأي الذي أخذت به في تفسير الآية ، سابقة الذكر . أم يوجد رأي يفيد الرأي الذي ذهب إليه في تفسير هذه الآية ؟ اعلم أن من المفسرين من حكم على والد سيدنا إبراهيم . عليه السلام . بالكفر والشرك مستدلاً بنصوص القرآن الكريم الدالة على ذلك ، كقوله - تعالى - :

إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَنْتَ خُذْ أَسَدًا مِمَّا آلَهتَ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { [سورة الأنعام: 74] تَلَعَا قَوْلَيْهَا قَوْلَيْ تَعْلِيمٍ : لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } [سورة التوبة : 114 ]

وحول تفسير هذه الآية يقول الإمام الطبري في تفسيره : " فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك؟ فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه. فلما تبين له وعلم أنه لله عدوٌّ ، خلاه وتركه ، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمره عليه ، ف تبرأ منه حين تبين له أمره . " (16)

فتبين من خلال كلام الإمام الطبري \_ رحمه الله \_ أن والد سيدنا إبراهيم . عليه السلام . كان مشركاً .

ومع وجود هذا الرأي ؛ إلا أنك تجد من يقول بأن والد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم يكن مشركاً ولا كافراً . وبيّنوا الدلالة على قولهم ، ومن هؤلاء الإمام الشعراوي \_ رحمه الله \_ في تفسيره حيث يقول :

" ونحن نعلم أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من سلالة إسماعيل بن إبراهيم . والرسول - عليه الصلاة والسلام - قال : " أنا سيد ولد آدم فإذا كان آزرُ أبو إبراهيم كافراً وعابداً للأصنام . فكيف تصح سلسلة النسب الشريف ؟ نقول إنه لو أن القرآن قالَ { إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ } وسكت لكان المعنى أن المخاطب هو أبو إبراهيم . ولكن قول الله { آزَرَ } جاءت لحكمة ؛ لأنه ساعة يذكر اسم الأب يكون ليس الأب ولكن العم ، فأنت إذا دخلت منزلاً وقابلك أحد الأطفال



## دلالة قوله تَعَالَى فِي السَّاجِدِينَ { عَلَى أَفْضَلِيَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

تقول له هل أبوك موجود ولا تقول أبوك فلان ؛ لأنه معروف بحيث لن يخطئ الطفل فيه . ولكن إذا كنت تقصد العم فإنك تسأل الطفل هل أبوك فلان موجود ؟ فأنت في هذه الحالة تقصد العم ولا تقصد الأب ؛ لأن العم في منزلة الأب خصوصا إذا كان الأب متوفى .

إذن قول الحق سبحانه وتعالى { أَرْ ر } { بذكر الاسم فمعناه لعمه أزر . فإذا قال إنسان هل هناك دليل على ذلك؟ نقول: نعم هناك دليل من القرآن في هذه الآية الكريمة كُتِلِمُ شُهَدَاءُ إِذْ عَقَّبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ دَبُونِ إِمَّهِن كَبَعُوا دَائِلَةَ الْوَالِيَاتِ كَتَلِفُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ إِسْحَقَ إِلَهًا وَ أَحَدًا وَ زَحْنَ لَهُ مُسْلِمُونَ } [ سورة البقرة : 133 ] . والآباء جمع أب ، ثم حدد الله تبارك وتعالى الآباء ، إبراهيم وهو الجد يطلق عليه أب يواسماعيل وهو العم يطلق عليه أب واسحق وهو أبو يعقوب وجاء إسماعيل قبل اسحق .

إذن ففي هذه الآية جمع أب من ثلاثة، هم إبراهيم وإسماعيل واسحق . ويعقوب الذي حضره الموت وهو ابن اسحق ، ولكن أولاد يعقوب لما خاطبوا أباهم قالوا آباءك ثم جاءوا بأسمائهم بالتحديد ، وهم إبراهيم الجد وإسماعيل العم واسحق أبو يعقوب وأطلقوا عليهم جميعا لقب الأب.

فكان إسماعيل أطلق عليه الأب وهو العم وإبراهيم أطلق عليه الأب وهو الجد واسحق أطلق عليه الأب وهو الأب . فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أشرف الناس حسبا ولا فخر " يقول بعض الناس كيف ذلك ووالد إبراهيم كان غير مسلم . ورسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: " أنا سيد ولد آدم " فإذا قال أحدهم كيف هذا وأبو إبراهيم . عليه السلام . كان مشركا عبدا للأصنام نقول له لم يكن أزر أبا لإبراهيم وإنما كان عمه ، ولذلك قال القرآن الكليل { أَرْ ر } [ وجاء بالاسم يريد به الأبوة غير الحقيقية . فأبوة إبراهيم وأبوة اسحق معلومة لأولاد يعقوب ، ولكن إسماعيل كان مقيما في مكة بعيدا عنهم ، فلماذا جاء اسمه بين إبراهيم واسحق ؟ نقول جاء بالترتيب الزمني ؛ لأن إسماعيل أكبر من اسحق بأربعة عشر عاما .

وكونه وصف الثلاثة بأنهم آباء إشارة لنا من الله سبحانه وتعالى أن لفظ الأب يطلق على العم. (17)

وهكذا تجد الخلاف موجوداً بين علمائنا قديماً وحديثاً ، فالإمام الطبري رحمه الله \_ من أوائل المفسرين ، والإمام الشعراوي رحمه الله \_ من أواخرهم .

وإن اقتصرنا على تفسيرين فقط في هذه المسألة ، فهذا لا يعني أنهما فقط من تحدث حول هذه المسألة ؛ بل هنالك العديد من المفسرين من ذكر الرأي الأول كالإمام البغوي والسعدي -رحمهما الله- ، وهنالك من انتصر للرأي الثاني كالإمام الرازي . رحمه الله . . .

## د. خليل العبادي

لذلك لن أخوض في هذه المسألة كثيراً ؛ لأن من قال بكلا الرأيين ، استند إلى ما يقوي حجته ورأيه، وما يهمننا في المسألة ، أن من أخذ بأحد الرأيين لا ينتج عن رأيه ما ينقص من شأن النبي محمد \_عليه الصلاة والسلام\_ ولا من مكانة سيدنا إبراهيم . على نبينا وعليه السلام . . .  
فنجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ أو الأخرى ، ننتجتها لا تقتضي التقليل من مكانة الحبيب المصطفى \_صلى الله عليه وسلم\_ ، وهذا ما يدور حوله الحديث في المطلب القادم .  
**المطلب الثاني: هل نجاة والدي سيدنا محمد . عليه الصلاة والسلام . أو عدمها يؤثر على أفضليته :**

إن مسألة الخوض في نجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ أو عدمها ليست جديدة ؛ بل عرض لها علماءنا منذ زمن بعيد . وبعد الرجوع إلى أقوالهم تجدهم قد اختلفوا على ثلاثة آراء :  
أولها للقائلون بنجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ .  
ثانيهما للقائلون بعدم نجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ .  
ثالثهما الذين توقفوا عن إصدار الحكم على والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ . (18) [ 2 . 2 / 402 وما قبلها ]

ولما كان القول في هذه المسألة مبنوياً في بطون الكتب ، وكتب فيه رسائل جامعية ؛ فسوف أقتصر في حديثي عنه على كلام عالمين من علمائنا المتأخرين ؛ حيث اعتمدوا في كتاباتهم على من سبقهم ، وأخذ عنهم من جاء بعدهم. فعن الرأي الأول كلام الإمام السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي ، والذي سطر فيه عشرات الصفحات المؤيدة لرأيه في نجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ كما يعد مرجعاً لطائفة من العلماء الذين جاءوا بعده ، والذين نقلوا عنه كلامه في تلك المسألة بطوله إن لم يكن بحرفه كالإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه الموسوم بـ سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد .

كما سأقتصر في الرأي الثاني على كلام الإمام الملا علي القاري من خلال كتابه أدلة معتقد الإمام أبي حنيفة ، لذي انتصر فيه للرأي الثاني ، كما أورد فيه ردوداً على الإمام السيوطي .  
بعد الرجوع إلى كلام هذين العالمين ، تجد أنهما اختلفا في الحكم على نجاة والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ ، إلا أنهما اتفقا على أفضلية النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقلل من مكانة النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ أو أن يطعن به من خلال الحكم على والديه .  
يقول الإمام علي القاري تعقيباً على كلام الإمام ابن العربي حين سئل " عن رجل قال إن أبا النبي في النار فأجاب بأنه ملعون ؛ لأن الله \_تعالى\_ يقول **الَّذِينَ يَرُؤُا نُدُوءَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ**

### دلالة قوله تَقَالِيْدِي فِي السَّاجِدِيْنَ { على أفضلية سيد المرسلين

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} [سورة الأحزاب : 57] قال : ولا أزدأعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار. محمول على من قصد أذى النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ بإطلاق هذا الكلام فإنه ملعون بل كافر مطعون .

وأما من أخبره لما ثبت عنه . عليه الصلاة و السلام . واعتقده كأبي حنيفة وغيره من علماء الأعلام فحاشاهم من نسبة الطعن إليهم ويحرم اللعن عليهم . " (19) [ 7 . 140 ]

أقول في هذا البحث الكلام موجه لمن يطعن في الحبيب المصطفى \_ عليه الصلاة والسلام \_ ويردّ على تلك الشبهة التي قدمتها في بداية البحث فإذا كان هذا كلام من قال بعدم نجاة والديّ النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ . فكيف بمن قال بنجاتهما .

أورد الإمام السيوطي بعض الأدلة على نجاة والديّ النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ ذلك من خلال اعتبارهما من أهل الفترة ، التي قسمها ثلاثة أقسام ووضع والديّ النبي \_ عليه الصلاة و السلام \_ ضمن القسم الثالث الناجي ؛ لأنه لم تصله دعوة نبي ، والله \_ تَعَالَى \_ يَقُولُ تَالِمُ عَدَابِيْنَ حَتَّى نَبِّعَتْ رَسُولًا { سورة الإسراء : 15 } .

وحين عرض الإمام السيوطي مسألة أهل الفترة جعلها ثلاثة أقسام : أولها : " من أدرك التوحيد ببصيرته ، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعته كقس ابن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه . ثانيها : من بدل وغير وأشرك ولم يوحد ، وشرع لنفسه ؛ فحل وحرم وهو الأكثر كعمرو ابن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام .

ثالثها : من لم يشرك ولم يوحد ، ولا دخل في شريعة نبي ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً ، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان كذلك .

فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام ؛ فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني ؛ لكفرهم بما لا يعذرون به ، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين . " (20) [ 2 . 2 / 365 وما بعدها ]

هكذا تجد أن المذهبين مع اختلافهما في الحكم على نجاة والديّ النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ إلا أنهما متفقان على مفاد هذه الدراسة ؛ وهو بقاء الأفضلية للنبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ .

المطلب الثالث : كيفية الردّ على من حاول الطعن في سيدنا محمد . عليه الصلاة والسلام . من خلال الطعن في والديه أو نسبه الشريف :

الحديث حول طهارة أصله وشرف مجده \_ صلى الله عليه وسلم \_ معلوم لكل ذي بصيرة " وذلك

## د . خليل العبادي

مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وأشرف العرب . وأعداؤه صلى الله عليه وسلم . كانوا يشهدون له بذلك ، وهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بن حرب بن يدي ملك الروم . فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفخاذ فخذَه صلى الله عليه وسلم . **قُلِّلَهُ اللَّهُ تَلَعُّلِي ذِي ثُجَّةٍ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** { [ سورة الأنعام : 124 ] " (21). [ 275 / 1 . 3 ]

وقد أورد الإمام الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد باباً في كرامة أصله . صلى الله عليه وسلم . أورد فيه عدة أحاديث منها :

" . عن ابن عباس { وتقلبك في الساجدين } قال من صد لب نبي إلى نبي حتى صرت نبياً . [ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 8 / 395 : 13819 / رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة . ]

" . عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي " (22) . [ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 8 / 396 : 13820 / رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي، صحح له الحاكم في المستدرک وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات . ]

مع ورود هذه الأحاديث في صفاء نسب نبينا محمد . عليه الصلاة والسلام . إلا أن هذه الشبهة أثيرت في زمنه عليه الصلاة والسلام ورد عليها مباشرة عليه الصلاة والسلام أخرج الحاكم في مستدرکه: " عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب عن ربيعة قال : بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوما نالوا منه و قالوا له : إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناس ، فغضب رسول الله . صلى الله عليه و سلم . ثم قال : أيها الناس إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، ثم قال رسول الله . صلى الله عليه و سلم . : أنا خيركم قبيلاً و خيركم بيتاً . " (23) [ المستدرک على الصحيحين 3 / 275 : 5077 / تعليق الذهبي في التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص ]

أورد الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد : أن صفية بنت عبد المطلب . رضي الله عنها . قالت: " خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية ، فقلت : منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الشجرة لتبتت في الكبا . قالت : فمررت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : يا بلال ، هجر بالصلاة . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ، من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله . قال :

### دلالة قوله تَقَالِيْدِي فِي السَّاجِدِيْنَ { على أفضلية سيد المرسلين

انسبوني . قالوا : أنت محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب . قال : أجل ، أنا محمد بن عبد الله ، وأنا رسول الله ، فما بال أقوام يبتتلون أصلي؟ فو الله لأنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً .<sup>(24)</sup> [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 8 / 400 : 13827 / رواه البزار، وفيه إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك . ]

هذا ردّ النبي \_ عليه الصلاة والسلام\_ على من سولت له نفسه أن يطعن في نسب النبي الكريم \_ عليه أركى الصلاة وأتم التسليم \_ .

ها هو ذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . رحمه الله \_ . يرد بدوره على من نطق بمثل هذه الشبهات ، فقد أورد الإمام ابن عساكر \_ رحمه الله \_ في تاريخه :

كان "نوفل بن الفرات عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، وكان رجلاً من كتاب الشام مأموناً عندهم ، استعمل رجلاً على كورة من كور الشام كان أبوه يزن بالمنانية قال فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : ما حملك على أن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية ؟ قال له : أصلح الله أمير المؤمنين وما علي ما كان أبوه كان أبو النبي \_ صلى الله عليه وسلم\_ مشركاً . قال فقال عمر آه ثم نكت ثم رفع رأسه فقال : أقطع لسانه أقطع يده ورجله أضرب عنقه ؟ ثم قال : أقد جعلت هذا عدلاً للنبي \_ صلى الله عليه وسلم\_ لا تلي لي شيئاً ما بقيت ."<sup>(25)</sup> [ 8 . 45 / 222 ]

بعد ذلك أقول لمن يطعن في والديّ النبي \_ عليه الصلاة والسلام\_ . ماذا تعرف عنهما ؟ وهل قرأت طرفاً من سيرتهما ؟ فإذا فعلت ذلك ؟ هل وجدت هذه العبارة :

وكان عبد الله أحسن رجل مرثي في قریش ، فزوجه آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قریش نسباً وموضعاً ."<sup>(26)</sup> [ 9 . 1 / 75 وما بعدها ]

وأقول لمن يطعن في نسب النبي \_ عليه الصلاة والسلام\_ وينعته ب محمد ابن أبيه ، هل تعلم أن نسب النبي \_ عليه الصلاة والسلام\_ مبنوث في كتب السير ؟ لا بل تجد فيه اتفاقاً لا شك فيه يصل إلى عدنان .

يقول الإمام ابن حزم في نسب النبي \_ عليه الصلاة والسلام\_ : " هو أبو القاسم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيببة الحمد بن هاشم ، واسمه عمرو ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي . واسمه زيد . بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي ابن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مصر بن نزار بن معد بن عدنان . هاهنا انتهى النسب الصحيح الذي لا شك فيه .

## د. خليل العبادي

وعدنان لا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله ، بن إبراهيم خليل الله ورسوله ، صلى الله على سيدنا محمد ، وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه . " [ 4 . 10 ]<sup>(27)</sup> كما أنك تجد في كتب السير نسب النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ إلى أبي البشر آدم \_عليه الصلاة والسلام\_ (28) [ 48 . 11 وما بعدها ] فأبي رجل في التاريخ ذكر له مثل ذلك . ثم أعود لمن يجهل حال والد النبي . \_عليه الصلاة والسلام\_ . عندما كان في الجاهلية ، فأقول هل تعلم بأن هنالك من ألف كتاباً عن أخبار والد النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ ذكر فيه ما لا يدع شكاً لأحد في المنزلة التي كان يتحلى بها والد النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ بين قومه وما تمتع به من الأخلاق والشجاعة .

إليك طرفاً من ذلك ، فبعد حوار عبد المطلب مع أبرهة الأشرم يقول:

" فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر ، ودنا وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاثلوا معه إن أمكنهم ذلك . فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض ، وقد جردت ركبته ، فقال عبد المطلب : قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيراً ، والله ما رأيت ركبته قط قبل اليوم ، فأخبرهم ما صنع الله بأصحاب الفيل . " [ 252 . 12 وما بعدها ] هذا عن شجاعته ، أما عن أخلاقه فاسمع لردده على من طلبته لنفسها مقابل مئة من الإبل: " أما الحرام فالممات دونه . " [ 13 . 1 / 96 ] هذه شجاعة وأخلاق عبد الله والد النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ ، " الذي كان صورة طبق الأصل من جده عبد المطلب . " [ 38 . 14 ]<sup>(31)</sup> وتعلمون مكانة عبد المطلب في قومه وعند العرب في زمانه ، بل وعند المستشرقين أيضاً .

يقول كونستانس جيورجيو . وزير خارجية رومانيا السابق . : " يتكلم العربي كما يفكر تماماً ، وليس من فارق بين رأيه وبيانه ، وعلا عبد المطلب أن يفني بالعهد الذي قطعه على نفسه لا سيما إذا علملأنه حنفي ، وكان الحنفي يعتقد بوجود الله خالق السماوات والأرضيين ، وقد عرف عدد من الرجال في مكة بالحنيفيين وعبد المطلب واحد منهم . " [ 19 . 15 ]<sup>(32)</sup>

هذا ما ورد عن والده \_صلى الله عليه وسلم\_ ، أما عن والدته . \_عليه الصلاة والسلام\_ . فاسمع إلى الإمام محب الدين الطبري صاحب كتاب ذخائر العقبى ، حيث يقول :

" ذكر ما جاء في إيمان أمه \_صلى الله عليه وسلم\_ بعد موتها ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ نزل الحجون كئيباً حزينا فأقام به ما شاء الله \_عز وجل\_ ثم رجع مسروراً قال سألت ربي \_عز وجل\_ فأحيا لي أُمي فأمنت بي ثم ردها .  
رويناه من حديث أبي عزية محمد بن محمد بن يحيى الزهري . " [ 431 . 16 ]<sup>(33)</sup>

## دلالة قوله تَعَالَى فِي السَّاجِدِينَ { عَلَى أَفْضَلِيَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

هذه بعض الآثار والأحاديث الواردة في نجاته والدي النبي عليه الصلاة والسلام ، عند من قال بنجاتهما .

أما العلماء الذين لم يقولوا بنجاتهما ، فإن منهم من أورد أحاديث تدل على منزلتهما ، من ذلك ما أورده الإمام الألباني في كتابه إرواء الغليل :

" ما ولدتني بغى قط ، قد خرجت من صلب أبي آدم ولم تنزل تنازعتني الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب : ( هاشم وزهرة ) .

. وعند حكمه على الحديث . قال : " وخلصته أن الحديث من قسم الحسن لغيره عندي ؛ لأنه صحيح الإسناد عن أبي جعفر الباقر مرسلًا ويشهد له الطريق الأولى عن علي ، والثانية عن ابن عباس ؛ لأن ضعفهما يسير محتمل وأما بقية الطرق فإنها شديدة الضعف لا يصلح شيء منها للاستشهاد بها . والله أعلم . " (34) [إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل 6 / 332 : 1914 ] فإذا كان هذا حال والدي النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فكيف لأحد بعد ذلك أن يطعن بهما أو يجعلهما سبباً في التقليل من أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم .

### المطلب الرابع : دلالة بعض النصوص القرآنية المؤيدة للهدف من البحث :

يزعم صاحب الشبهة التي كانت سبباً في كتابة هذا البحث أن آيات القرآن الكريم فيها دلالة واضحة على قولهم ، ولكن عند الرجوع إلى آيات القرآن الكريم تجدها مليئة بالدلائل على أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فالحقيقة الدامغة مفادها : " أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات يقيناً ، لا يدخله احتمال ؛ إذ ليس من المعقول أن ينزل ذلك الكتاب العظيم على شخص يكون في عالم الوجود من هو أفضل منه . " (35) [ 9 . 1 ]

إن المفاضلة بين الأنبياء . عليهم السلام . ثابتة في كتاب الله تعالى {الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [ سورة البقرة : 253 ] ، ولا يعني منها التقليل من شأن أحد منهم ؛ فكلهم لهم منزلة عظيمة عند الله ، قَالَ تَعَالَى : {يُرْسِلْنَا مِنْ رُسُلِهِ} [ سورة البقرة : 285 ]

قال صاحب جوهرة التوحيد : (36) [ 143 . 17 ]

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشفاق

ومن الآيات الدالة على أفضليته . صلى الله عليه وسلم . :

وَأُولَئِكَ أَقْوَمُ تَعَالَى : {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَأَكْبَرُ مِنَ الْعَذَابِ} [ سورة الأنبياء : 107 ]

دلالة هذه الآية على أفضلية سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . :

ذهب الإمام الطبري في تفسيره إلى أن أفضلية محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وسلم .

## د. خليل العبادي

تأتي من " أن الله أرسل نبيه محمدا . \_صلى الله عليه وسلم\_ . رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم . فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ، وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة . وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله . " (37) [ 18 .

[ 127/ 17

وأتساءل بعد هذا وقبله : أي نبي أو رسول بل أي مخلوق قد خصه الله \_تعالى\_ بهذه المنزلة سوى سيدنا محمد بن عبد الله . \_عليه الصلاة والسلام\_ .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَإِذَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحَكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ لِتَنصُرُوهُ وَقَدْ أَخَذْتُم مِّنِّي ذُنُوبَكُمْ وَإِخْرَاجِي قَالُوا أَقْرَبُ نَا قَالِ فَاشْتَهَى دُوا وَآنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ } [سورة آل عمران : 81 ]

ساق الإمام الطبري في تفسيره عدة روايات في تفسير هذه الآية ومن هذه التاويلات :  
" حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبدالله بن هاشم قال، أخبرنا سيف ابن عمر، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب قال: لم يبعث الله \_عز وجل نبياً، آدمَ فمن بعده إلا أخذ عليه العهدَ فليئن جمعته: وهو حي ليؤمنن به ولينصرنّه ويأمره فيأخذ العهدَ على قومه . " (38) [ 387/ 3 . 18 ]

يقول الإمام الغماري : " هذا تكريم كبير من الله لنبيه بأخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم . " (39) [ 19 . 1 ]

لَعَمْرُؤُا لِنُقُولُنَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَدُنِّي سَكَرَ تِهِمْ يُعْمَهُ وَنَ } [سورة الحجر : 72 ]  
وحين استدلل الإمام العز بن عبد السلام بالآية في كتابه الموسوم بـ السؤل في تفضيل الرسول ، قال:والإقسام بحياة الم قسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسّم بها ، وأن حياته . \_صلى الله عليه وسلم\_ . لجديرة أن يُقسم بها ؛ لما فيها من البركة العامة والخاصة ، ولم يثبت هذا لغيره \_صلى الله عليه وسلم\_ " (40) [ 37 . 19 ]

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُرِيبُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى عَدَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا  
تَسْلِيمًا } [سورة الأحزاب : 56 ]

من الذين استدلووا بهذه الآية على أفضلية سيدنا محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ القاضي عياض حيث قال: " أبان الله \_تعالى\_ فضل نبيه \_صلى الله عليه وسلم\_ بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه . " (41) [ 89 . 20 ]  
خامساً : مناداته سيدنا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_ . في أكثر من موضع بالنبى والرسول وليس



## دلالة قوله تَعَالَى بِكَ فِي السَّاجِدِينَ { على أفضلية سيد المرسلين

باسمه مجرداً ، وهذه ميزة يتميز بها دون غيره ، قال الإمام الزمخشري : " وترك نداءه باسمه كما قال : يا آدم ، يا موسى ، يا عيسى ، يا داود : كرامة له وتشريفاً ، وربناً بمحله وتنويهاً بفضله." [42] [ 526/ 3 . 21 ] .

وأخيراً وليس آخرأً أذكر بعض الآيات الدالة على منزلة سيدنا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_ .  
وما حباه الله \_تعالى\_ به من المنزلة :

. قوله تَعَالَى لِمَنْ لِي خُلِقَ عَظِيمٍ { [ سورة القلم : 4 ]

وَأَسْقُوهُ فِتْنَةً لِيُعْطِيَكَ رُبُّكَ فَتَرَضَى { [ سورة الضحى : 5 ]

. قوله تَعَالَى رَحْمَةً لَكَ هَدَىٰ ذُرِّيَّتَكَ لِي (لَا) عَنكَ وَرِزْقًا كَثِيرًا (لِي) ضَمًّا لِي وَظَهْرًا كَثِيرًا (3)

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) { [ سورة الشرح : 4 . 1 ]

. قوله تَعَالَى طِبُّ لِي ذَاكَ الذُّكُورِ فَطَوَّلَ (لِي) بِكَ وَانْحَارَ دُونَ (لِي) هَشُونَ الْأَبْتَرُ (3) {

[ سورة الكوثر : 3 . 1 ]

نعم آيات القرآن الكريم دلت على أفضلية سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

\_صلى الله عليه وسلم\_ ، وهل هناك أصدق من الله قبيلاً ؟ وهل هناك أصدق من الله حديثاً ؟ كلا . فيعد هذا البيان ؛ هل بقي في القلب شك في أفضلية نبينا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_؟ خير

الأنام !!!

نتائج الدراسة :

نتيجة هذه الدراسة واضحة لكل عاقل ، نتيجة مفادها ما أجمع عليه المسلمون (43) ، وشهد له أعداءه والمستشرقون . كما هي واضحة في ثالثاً . هي :

أولاً : إن سيدنا محمداً \_صلى الله عليه وسلم\_ هو خير الخلق وأفضلهم على الإطلاق ، وإن كان الله \_تعالى\_ قد أنعم على أحد مخلوقاته وخصه بميزة ؛ فهذا لا يعني تفضيله على سيدنا محمد . \_صلى الله عليه وسلم\_ . .

ثانياً : نزل الحكم على والدي النبي \_عليه الصلاة والسلام\_ سواء كان بنجاتهما أم لا ؛ لا يطعن في أفضلية النبي . \_عليه الصلاة والسلام\_ . وخيريته .

ثالثاً : إن ما تناقله الغرب من صور شنيعة مسيئة للنبي \_عليه الصلاة والسلام\_ سواء كانت هذه الإساءة عبر الرسوم أو الأفلام ؛ بعيدة كل البعد عن شخصية نبينا محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ ، كيف لا وهم يشخصون صورة لرجل مجهول النسب ، أما نبينا \_عليه الصلاة والسلام\_ فهو معلوم النسب للقاصي والداني ، وقد صدق رسول الله \_صلى الله عليه وسلم\_ عندما قال : " ألا

## د. خليل العبادي

تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد" (44) .  
[صحيح البخاري 7 / 4128 : 3533 ]  
وهذه الحقيقة واضحة أيضاً في كتابات بعض المستشرقين ، يقول القس الفرنسي لوازون في محاضرة له عن الرسول محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ : "أواخر جميع الأنبياء كما يعتقد المسلمون هو محمد الذي ولد في مكة لعشر ليال مضت من ابريل سنة 570 للميلاد وكانت عائلته أشرف عائلة في قريش ، وهي إحدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب ، وصاحب النسب المرتقي إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل . " (45)

### الهوامش:

- <sup>1</sup> سمعت هذه الشبهة على إحدى القنوات التبشيرية والتي تسمى قناة الحياة عبر القمر الصناعي/ Nile sat /27500 / تردد رقم V : / وعنوان موقع البرنامج الإلكتروني [www.aldaleel.tv](http://www.aldaleel.tv) و [www.hayatv.tv](http://www.hayatv.tv)
- <sup>2</sup> هذه الآية هي قوله **وَتَعَالَىٰ لَبِّدٍ لِّإِي فِي السَّاجِدِينَ** { الشعراء : 219 } .
- <sup>3</sup> الغماري ، أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسيني ، دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العلمين ، ص : 1 .
- <sup>4</sup> من أبرز العلماء الذين كتبوا في ذلك الإمام السيوطي . انظر : السيوطي ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، الحاوي للفتاوى . تحقيق وتعليق محمد محي الدين ، ج 2 ، ص : 361 إلى ص 404 .
- <sup>5</sup> هذه الفضائية كما ذكرت في الهامش الأول هي قناة الحياة .
- <sup>6</sup> وهي متصلة ببرنامج الدليل على قناة الحياة ، وكانت مداخلتها مفادها الشبهة مدار البحث .
- <sup>7</sup> أورد هذه الحادثة الغماري في مقدمة كتابه دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العلمين .
- <sup>8</sup> الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد . تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد ، ج 1 ، ص : 275 .
- <sup>9</sup> انظر : الماوردي ، تفسير النكت والعيون ، ج 4 ، ص : 189 .
- <sup>10</sup> هذا الحديث لم أجده بهذا النص في كتب السنن ، وكل من جاء بعد الإمام الرازي يحيله إلى التفسير الكبير له ، وليس إلى كتب السنن .

## دلالة قوله تَقَالِيْدُكَ فِي السَّاجِدِ بْنِ { عَلَى أَفْضَلِيَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

- <sup>11</sup> الرازي ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ، تفسير الرازي ، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب . ج 13 ، ص : 33 .
- <sup>12</sup> السيوطي ، الحاوي للفتاوى ، ج 2 ، ص : 361 .
- <sup>13</sup> المرجع السابق ، ص 367 .
- <sup>14</sup> حتى وجدنا قاعدة من قواعدهم تقول : لا تناقضوهم بالعقائد فإن العقل قلعتهم الحصينة . انظر الفكر الإسلامي المعاصر ، د. عبد الحميد مذكور .
- (15) النيسابوري ، العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، م 5 ص : 288 .
- (16) الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ضبط وتعليق محمود شاکر ، تصحيح علي عاشور ، ج 11 ، ص : 50 .
- (17) الشعراوي ، الإمام محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج 1 ، ص : 616-617 .
- (18) كالإمام تاج الدين الفاكهاني في كتابه الفجر المنير حيث قال : الله أعلم بحال أبويه . انظر تفصيل هذه الآراء في كتاب : الحاوي للفتاوى ، ص 402 وما قبلها .
- (19) القاري ، علي بن سلطان محمد القاري ، أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول . \_عليه الصلاة والسلام\_ . . تحقيق : مشهور بن حسن بن سلمان ، ص : 140 .
- (20) انظر : الحاوي ، ص : 365 . 366 .
- (21) سبل الهدى والرشاد ، ج 1 ، ص : 275 .
- (22) الهيثمي ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، باب في كرامة أصله . \_صلى الله عليه وسلم\_ . ، حديث رقم 13819 . 13820 ، ج 8 ، ص : 395 . 396 .
- (23) الحاكم ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، حديث رقم 5077 ، ج 3 ، ص : 275 .
- (24) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، حديث رقم 13827 ، ج 8 ، ص : 400 .
- (25) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج 45 ، ص : 222 .
- (26) ابن سيد الناس ، الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون

- المغازي والشمائل والسير. ج 1 ، ص : 77 . 75 .
- (27) ابن حزم ، جوامع السيرة النبوية ، ص : 4 .
- (28) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص : 48 . 49 .
- (29) جميل إبراهيم حبيب ، أخبار عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - . ص : 56 . نقلاً عن تاريخ اليعقوبي ج 1 ص 252 . 253 .
- (30) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى . تحقيق إحسان عباس ، ج 1 ، ص : 96 .
- (31) عبد الحلیم محمود ، دلائل النبوة ، ص : 38 .
- (32) جيورجيو ، كونستانس جيورجيو ، نظرة جديدة في سيرة رسول الله . تعريب د. محمد التونجي ، ص : 19 .
- (33) الطبري ، أحمد بن محمد الطبري المكي ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى . تحقيق أكرم البوشي ، ص : 431 .
- (34) الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني ، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل ، باب نكاح الكفار ، حديث رقم 1914 ج 6 ، ص : 332 .
- (35) الغماري ، دلالة القرآن المبين ، ص : 9 .
- (36) اللقاني ، برهان الدين اللقاني ، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد ، ص : 143 .
- (37) الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ضبط وتعليق محمود شاكر ، تصحيح علي عاشور ، ج 17 ، ص : 127 .
- (38) المرجع السابق ، ج 3 ، ص : 387 .
- (39) الغماري ، دلالة القرآن المبين . ص : 19 .
- (40) ابن عبد السلام ، العز بن عبد العزيز بن عبد السلام ، بداية السؤل في تفضيل الرسول - صلى الله عليه وسلم - . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ص : 37 .
- (41) القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى تحقيق عبده علي ، ص : 89 .
- (42) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ج 3 ، ص : 526 .

## دلالة قوله تَقَالَيْدُ فِي السَّاجِدِينَ { على أفضلية سيد المرسلين

- (43) ذكر هذا الإجماع صاحب كتاب تحفة المرید . ص : 144 .  
(44) البخاري ، صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، حديث رقم 3533 ، م 7 ، ص : 4128 .  
(45) الشيباني ، محمد شريف الشيباني ، الرسول . صلى الله عليه وسلم . في الدراسات الاستشراقية المنصفة . القسم الثاني ، الباب الأول ، ص : 1 ، بدون .

### المصادر والمراجع :

- \* القرآن الكريم .  
\* ابن حزم ، جوامع السيرة النبوية . دار الجيل ، بيروت ، 1982 م .  
\* ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى . تحقيق إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1968 م .  
\* ابن سيد الناس ، الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . تحقيق : د. محمد الخطراوي ومحي الدين مستو ، دار التراث ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ . 1992 م .  
\* ابن عبد السلام ، العز بن عبد العزيز بن عبد السلام ، بداية السؤل في تفضيل الرسول . صلى الله عليه وسلم . . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1403 هـ . 1983 م .  
\* ابن عساکر ، تاريخ دمشق . دار الفكر ، بيروت ، 1998 م .  
\* الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني ، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل . المكتب الإسلامي ، إشراف محمد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ، 1405 هـ . 1985 م .  
\* البخاري ، صحيح البخاري بشرح فتح الباري . المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1422 هـ . 2001 م .  
\* جميل إبراهيم حبيب ، أخبار عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . . المكتبة العالمية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1984 م .  
\* جيورجيو ، كونستانس جيورجيو ، نظرة جديدة في سيرة رسول الله . تعريب د. محمد التونجي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1983 م .  
\* الحاكم ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين . تحقيق

- : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411 هـ ،  
1990 م .
- \* الرازي ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الرازي ، المشتهر  
بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب . قدم له الشيخ خليل محي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ،  
1995 م .
- \* الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل  
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ،  
بيروت .
- \* السيوطي ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، الحاوي للفتاوى .  
تحقيق وتعليق محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1411 هـ . 1990 م .
- \* الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله  
وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد . تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد ، المجلس  
الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1392 هـ . 1972 م .
- \* الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي . خواطر حول القرآن . ، مجمع البحوث  
الإسلامية ، الأزهر .
- \* الشيباني ، محمد شريف الشيباني ، الرسول . صلى الله عليه وسلم . في الدراسات  
الاستشرافية المنصفة .
- \* صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم . مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الأولى  
2001 م .
- \* الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ضبط  
وتعليق محمود شاكر ، تصحيح علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة  
الأولى ، 1421 هـ . 2001 م .
- \* الطبري ، أحمد بن محمد الطبري المكي ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى . تحقيق أكرم  
البوشي ، مكتبة الصحابة ، جدة ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ . 1995 م .
- \* عبد الحليم محمود ، دلائل النبوة . دار الشعب ، الطبعة الثانية ، 2003 م .
- \* الغماري ، أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسيني ، دلالة القرآن المبين على

## دلالة قوله تَقَالِيْدِي فِي السَّاجِدِ بْنِ { على أفضلية سيد المرسلين

- أن النبي أفضل العلمين . مكتبة القاهرة .
- \* القاري ، علي بن سلطان محمد القاري ، أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول . \_ عليه الصلاة والسلام\_ . . تحقيق : مشهور بن حسن بن سلمان ، مكتبة الغراء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى 1993م .
- \* القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى تحقيق عبده علي ، مكتبة الغزالي ، الطبعة الثانية ، 1420 هـ . 2000 م .
- \* اللقاني ، برهان الدين اللقاني ، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد . ضبطه وصححه عبد الله الخليلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1427 هـ ، 2007م .
- \* الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، النكت والعيون ، راجعه عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- \* النيسابوري ، العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، 1416 هـ . 1996 م .
- \* الهيتمي ، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . دار الفكر ، بيروت 1412 هـ ، 1992 م .